أهمية الزمن اللغوي في تحليل التراكيب الفعلية
نماذج تطبيقية على صيغة الماضي

يوسف وسطاني
جامعة فرحات عباس، سطيف

Résumé

Il est connu que les temps utilisés en arabe sont le passé, le future, et l'impératif.

Cependant la richesse de l'arabe en expressions temporelles fait que ces utilisations sont superficielles. Cette étude essaye d'appliquer une méthodologie linguistique capable de découvrir les capacités de cette langue en matière d'expression temporelle suivant des contextes différents sur des "Hadith" tradition du prophète Mohamed "QSSL"

مدخل

لم يعد كافيا في ضوء تطور اللسانيات الحديثة الاعتماد على التقسيم الثلاثي للصيغ الفعلية فيما يتعلق بالدلالة الزمنية، وإن كان المنطلق منها، وذلك لما يعتريها من إبهام في دلالتها الصرفية المحضة ـ**لزمن الأفعال**ـ الواردة ضمن التراكيب. وفي هذا النطاق، تسعى هذه الدراسة إلى إجراء تطبيقات عملية على أحاديث شريفة، **من صحيح البخاري**ـ في مجال تحديد الدلالة الزمنية لصيغة الماضي، وفق منظور السياق اللغوي الذي يعنى بالزمن النحوي، وهو وظيفة سياقية دقيقة تساعد على إبراز مختلف القرائن اللفظية والمعنوية، وما يكتنف المقام من عوامل خارجية ـ تحدد دلالة الزمن تحديدا متناسبا مع زمن الحاضرـ أو التكلم، قربا وبعدا، إيضاحا وإبهاما، كل ذلك وفقا لما تقتضيه الدراسات اللغوية الحديثة.

إن الحياة كما خلقها العلي القدير حركة دائبة، وفق قوانين وسنن دقيقة منتظمة تجري ضمنها كل أفعال البشر، وتطورات الكائنات الحية، ما يُبصَر منها وما لا يُبصَر، وهذه الحركية الواسعة واقعة بلا ريب في زمن محدد ومرتبطة به ارتباطا عضويا.

ومصطلح الزمن لغة: اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزمن والزمان العصر، والجمع أزمان وأزمن، وأزمنة، وزمن زامن شديد، وأزمن الشيء طال عليه الزمان، والاسم من ذلك: الزمن والزمنة[1]. وهو في الكليات: عبارة عن امتداد مفهوم غير قار للذات، متصل الأجزاء، والزمن ليس شيئا معينا تحصل فيه الموجودات، بل كل شيء وجد وبقي أو عدم وامتد عدمه[2].

وبهذا الامتداد وتلك الديمومة، يشكل الزمن العنصر الأساس لأي حدث، والقرين غير القابل للفصل لأنه ـ أي الحدثـ يقع فيه، في حيّزه

ونطاقه لا يعدوه، ذلك أنّ حركية الكون برمته مرتبطة ارتباطا وثيقا بالزمن، وتعاقب الأزمنة من الأزل إلى الأبد هي سمة الحياة، بل الحياة نفسها[3]. ولهذه الأهمية البالغة – لمفهوم الزمن- ما يبررها، ولا أدل على ذلك مما يؤخذ من ثنايا آي الذكر الحكيم، من إشارات إلهية قاطعة، بأن الوجود كله، بكل ملكوته، يدور ويتحرك في فلك زمني قدّره قيّوم السموات والأرض إلى أجل مسمى، فكانت الألفاظ المعبّرة عن الزمن مثل: العصر، الليل، النهار، الصبح، الغسق، السحر، الضحى، العشية، الساعة، وما إلى ذلك، مما يحمل معنى الزمن كلها موحية بمكانة الزمن وخطورته في حياة الإنسانية.

1- الفعل والزمن

ولعل ما يؤكد ذلك منحى نحاة العربية، حينما وضعوا تعريف الفعل، فجعلوه حدثا مقترنا بزمن، محددا في وظيفته الصرفية: (أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع وماهو كائن لم ينقطع)[4]، وهو التقسيم الثلاثي المعروف في الصرف العربي.

ولما كانت حركة الإنسان أفعالا، فإن ارتباطها بالزمن له وزنه، بل هو المعيار اللصيق لكون الفعل مرتبطا به، ومن هنا –ومع تراكم الفعل الحضاري الإنساني- تعددت وسائل تسمية الزمن وأدواته، وها نحن نستعمل جزيء الثانية بدقة لا متناهية، مما يستوجب التعامل مع مفهوم الزمن، بما يقتضيه من تحديد ودقة، فيعكس الوظيفة- البراغماتية- في عصر كله سرعة وتوال للأحداث، إن فرديا وإن جماعيا. ولئن وضع علماؤنا الأفذاذ التقسيم الزمني الثلاثي المعروف (**ماض، مضارع، وأمر**) ببعض الاختلاف في التسمية والدلالة الزمنية[5]، فإن اللغويين المحدثين اعتبارا لعامل الزمن في الاتصال والتواصل والحياة ومتطلباتها بوجه عام،

قد استدركوا الأمر، وبذلوا جهودا مشكورة في هذا المنحى، بما وضعوه من لمسات إضافية في مجال الدلالات الزمنية للتقسيم القديم، فغدا الزمن وظيفة في السياق تختار الصيغة التي تتوافر لها الضمائم والقرائن التي تُعين تأكيدا على تحميلها معنى الزمن المعيّن المراد في السياق[6].

2-الزمن وأنواعه

بات من الضرورة التفريق بين أنواع مصطلح الزمن منها:

الزمن الفلسفي: والمراد به، الزمن الذي يعد بالقياس إلى كمية رياضية، يعبر عنها بالساعة. أما **الصرفي**، فيتعلق كما هو معروف بالمعاني الصرفية للصيغ الثلاث المعروفة[7]، والزمن **اللغوي**، يُعنى بالوقت النحوي الذي يعبر عنه الفعل وصيغه، وما أدى تلك الوظيفة.

لقد ذكر تمام حسان، أن الزمن وظيفة في السياق[8]، ومن ثمة لا يرتبط بصيغة معينة بالضرورة، وحسب هذا الاتجاه، فإن دلالته الزمنية تتحدد اعتمادا على المقام والمقال بضمائمه وقرائنه، التي تتضافر فيما بينها في التركيب، لترسم بدقة الجهة الزمنية لصيغة الفعل، وهذا المنهج يعتمد على ما يسمى **بالزمن النحوي** أي الزمن السياقي، وهو بذلك زمن لغوي.

والسياق ـهذا المصطلح اللساني الهام ـ المعتمد في التحاليل اللغوية كعامل مؤثر تأثيرا مباشرا في تحديد المعاني دلالة وزمنا، هو من محددات مقصد المتكلم أو الباث للخطاب، وهو الظروف والمواقف والأحداث التي نشأ فيها هذا الخطاب المراد تحليله[9].وإذا كان المقام لا يسمح بعرض مدى استخدام هذا المصطلح قديما وحديثا، فإنه بلا ريب ركيزة أساس ومفهوم لساني بارز، باعتبار الكلام عملية اتصال وتواصل[10]، تتم في نطاق ظروف وملابسات كثيرا ما تساعد على فهم مضمون محتوى الخطاب الذي يمكن تحليله ضمن سياقين[11]: **سياق أحداث**

الخطاب ومحيطه، ثم سياق المتلقي وما يكتنفه من أوضاع مساعدة هي الأخرى على فهمه، ومن هنا تداخل العوامل الأخرى غير اللسانية أي البيئة الخارجية للنص[12]، لتتضافر مجتمعة في تحديد المضمون الإبلاغي، في أي تركيب لغوي. ولما كان الزمن قرين الأحداث ووعاءها فإن تحديده بدقة، يعتمد اعتمادا كليا على ما سبق ذكره، وذلك يعني توظيف الزمن النحوي السياقي القائم على الضمائم والقرائن المختلفة المستقاة من التراكيب.

3- دراسة الدلالة الزمنية في اللسانيات المعاصرة

وجدير بالتذكير في مجال الدراسات اللسانية الحديثة، أن هناك اتجاهين اثنين معاصرين لدراسة الزمن في العربية[13]، يقوم الأول على أساس وضع جداول زمنية للصيغ والتراكيب الدالة على زمن الفعل في اللغة العربية، ويمثل هذا الاتجاه عدد من علماء اللغة العربية المعاصرين منهم على وجه الخصوص: تمام حسان في كتابه: "**العربية معناها ومبناها**"، ومهدي المخزومي في كتابه في "**النحو العربي نقد وتوجيه**"، وإبراهيم السامرائي في "**الفعل زمانه وأبنيته وغيرهم**". وأما الاتجاه الثاني، فيتمثل نهجه في البحث عن الدلالة الزمنية للصيغ والتراكيب في العربية في ضوء **السياق اللغوي**، اعتمادا وتوظيفا لكل القرائن اللفظية والمعنوية والمقامية لبلوغ غاية الدلالة الزمنية، ويمثل هذا الاتجاه علماء عرب وأجانب منهم: إبراهيم أنيس، حامد عبد القادر في مقالتين، الأولى بعنوان **معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم**، والثانية: **معاني الماضي**، ثم كارل بروكلمان في كتابيه: **أساس القواعد المقارنة للغات السامية** سنة 1913م، وقواعد عربية ط14- 1960 وغيرهم.

وبهذا الشأن فإن ثراء العربية في الدلالات الزمنية لا يحتاج إلى دليل، وإن كان التقسيم الثلاثي القديم، لا يفي بمقتضيات التحليل اللساني الحديث، وذلك لخصائص العربية التركيبية المعروفة وكثرة مجازاتها، ودقة ألفاظها، ونظامها الصرفي والاشتقاقي، وهذا قليل من كثير، مما يقتضي -في نظري- توظيف **الاتجاه الثاني** في الدلالة الزمنية المذكور آنفا، لأنه يقوم على أساس التحليل اللغوي الذي يتشكل من كل العناصر التركيبية المترابطة دلالة وسياقا، ومقاما وذلك من شأنه أن يمكّن الباحث من الوقوف على الزمن الحقيقي للحدث المعبر عنه في نطاق الصيغ الثلاث: **فَعَلَ**: للماضي، **يَفْعَلُ**: للمضارع، **وافْعَلْ**: للأمر[14]. وذلك لأن كل لفظ متعيّن للدلالة بنفسه على معنى، فهو عند القرينة المانعة عن إدارة ذلك المعنى متعيّن لما يتعلق بذلك المعنى تعلقا مخصوصا ودال عليه، بمعنى أنه يفهم منه بواسطة القرينة لا بواسطة هذا التعيين[15]. وهكذا يتضح جليا أن التركيب الفعلي يحمل من القرائن ما يمكّن من فهم مدلول الزمن فهما دقيقا، وبطريقة أوسع بكثير من مجرد المجال الصرفي المحدود.

4- نماذج تطبيقية لبعض الأحاديث الشريفة في ضوء التحليل اللغوي للدلالة الزمنية

تستند النماذج التطبيقية الموالية إلى قسم من أقسام التقسيم الثلاثي للزمن، أي الماضي وما يتفرع عنه من دلالات زمنية وفق مقتضيات المنهج المذكور. ذلك أن للفعل أهمية بالغة في اللسان العربي لأنه يتضمن عنصرين بالغي الأهمية تواصلا وتعبيرا: الحدث + الزمن.

ولا يخفى على كل متخصص أن للصيغ الثلاثة دلالات زمنية تتفرع عنها وتخرج سياقا عما عُهد منها. أي ما وضعه لها النحاة، والوقوف على خصائص الزمن لكل صيغة وتحديد الجهة التي يقع في حيّزها

الحدث، أمر يتطلبه البحث اللساني الحديث في عصر تحسب أيامه ولياليه بالثواني وأجزائها. ومن هنا فقد اعتمدتْ هذه المحاولة أحاديث شريفة من **صحيح البخاري** لأنها صادرة عن أفصح العرب، صلى الله عليه وسلم، والذي غطّت سيرته العطرة ـتقريراتـ أقوالاـ وأفعالاـ جميع مناحي الحياة البشرية العاجلة منها والآجلة، فتعددت بذلك الدلالات الزمنية للجوانب القولية للرسول الأعظم صلوات ربي وسلامه عليه للتقسيم الزمني الثلاثي المعهود، ويُقتصر ههنا على الزمن الماضي لأن الموقف لا يسع البقية، محاولين الوقوف على بعض الدلالات الزمنية لهذه الصيغة (الماضي) وفق منظور الزمن اللغوي وذلك على النحو التالي:

5- **الدلالات الزمنية للماضي**: (المستنتجة من الأحاديث الشريفة وفق السياق المذكور):

1- الفعل الماضي الدال على الماضي الدائم.
2- الفعل الدال على الماضي المبهم (غير محدد الجهة) (الحكاية).
3- الفعل الماضي الدال على استمرارية وقوع حدث في زمن منقطع.
4- الفعل الماضي الدال على القريب من الحاضر.
5- الفعل الماضي الدال على زمن الحاضر.
6- الفعل الماضي الدال على زمن المستقبل.

تلك هي بعض الدلالات الزمنية لصيغة "**فَعَلَ**" خالية أو مقترنة بقرائن لفظية، واردة ضمن أحاديث شريفة، والتي تتجلى في النماذج الآتية:

1- الفعل الدال على الماضي الدائم: صيغة الماضي هي لما مضى بتعبير "سيبويه" ومعنى ذلك أن زمنها انقطع عن زمن التكلم وذاك في ظاهرها الصرفي، وها نحن أمام دلالة زمنية دائمة لهذه الصيغة من مادة: دَوَمَ[16]، بمعنى دام الشيء يدوم دوما وديمومة وأدام واستدامه، تأتّى فيه وقيل طلب دوامَه، وتتجلّى معنى الديمومة في الحديث الشريف التالي: **"أَعْذرَ اللهُ إلى امرئٍ أخَّرَ أجَلَهُ حتَّى بلَّغَهُ ستِّينَ سنةً"**[17].

ولنقف على صدر الحديث وعناصره النحوية:

أعذَرَ: فعل ماضي زيد فيه حرف الهمزة من عذَرَ المفيد للحجة التي يعتذر بها[18]، وهو متعد بحرف الجر وعلى وزن **أفعل** الذي من معانيه -إضافة- إلى التعدية ضرورة الشيء[19]، وبذلك صار كل من طُبّق عليه الإعذار دون عذر بعد المهلة الممتدة طوال عمره فلم يعتذر، والفعل أعذر ههنا محوري ***verbe pivot***[20]، تتمحور حوله بقية العناصر المشكلة للحديث.

اللهُ: لفظ الجلالة فاعل اسم ظاهر في رتبته الاعتيادية[21]، وَلِيَ الفعل مباشرة كعنصر ضروري في التركيب، وإسناد فعل أعذر إلى ذات الله جلت قدرته هو الأصل في هذا المقام للزيادة في التقرير والإيضاح وتعظيم الخبر وتمكينه من ذهن المتلقي[22].

إلى امرئ: جار ومجرور متعلقان: إلى:التي من معانيها انتهاء الغاية زمانا ومكانا، وهي هنا **للتبيين** لأن الموقف في الحديث يتعلق بتعجب أو تفضيل[23]، حيال كل إنسان توافرت فيه شروط الحديث. ثم امرئ: اسم مجرور نكرة لأنها تفيد العموم ولا تخص واحدا من الجنس دون سواه ولأنها الأصل في كل الأسماء لشمول حكم الحديث كل الجنس البشري والحديث بيانيا هو:

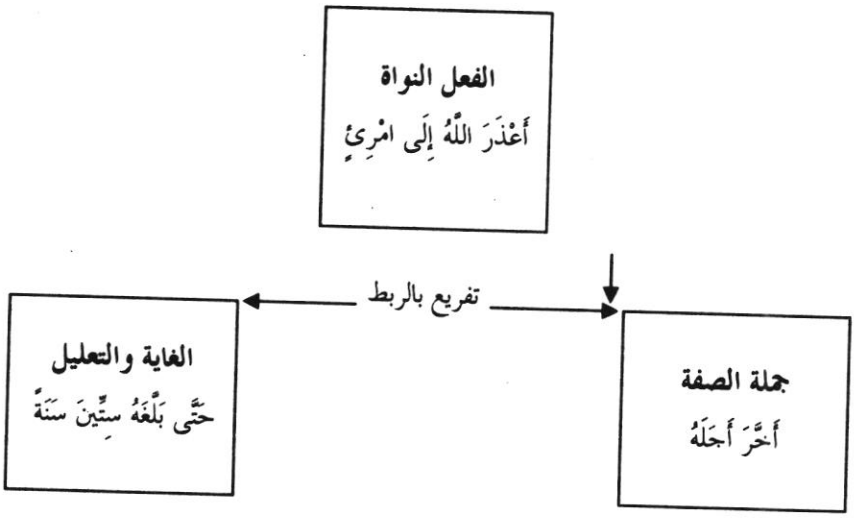

ويمكن أن نحدد جهات هذا التركيب الفعلي على النحو التالي:

* **جهة الزمن** : الفعل النواة، المحور: **أَعْذَرَ** دل على تقرير نبوي يكتسي طابع **الدّيمومة**، لأنه صالح لكل زمان ومكان، فالفعل مطلق عبر الزمن ويكتسي ديمومة في الأثر، من قبلُ ومن بعدُ، بقرينة معنوية تتجلّى في إسناده إلى ذات الله تعالى الذي أمره الأمر.

* **العلاقات الإسنادية** : تركيب فعلي: اشتمل على ثلاثة أفعال ماضية خالية من القرائن التي تعيّنها إلى جهة زمنية معينة وهي برتبتها المعتادة، وبذلك فالتركيب عبارة عن ابتداء تقريري استوفى عناصره التركيبية وأفعاله: **أعذر- أخّر- بلّغ-** فيها **ديمومة** بقرينة سبق ذكرها فهي لكل زمان ومكان.

ومثله قوله صلى الله علية وسلم: "**تكفّل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلاّ الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه من أجر أو غنيمة**"[24].

- الفعل: **تكفّل**: ماضي دال على الدوام في الأثر كلما توفرت شروط التكفل المقصود.

2- الفعل الدال على الماضي المبهم "غير محدد الجهة، "الحكاية"

الماضي المبهم غير محدد الجهة الزمنية: إنها دلالة أخرى للماضي المعروف بتعبيره عن حدث وقع قبل زمن التكلم، وذاك غير دقيق فقد تبتعد المسافة الزمنية أو تقرب من نقطة التكلم، ولكن تبقى متلونة بتلون الأحداث نفسها وما يعتريها من ملابسات مختلفة وما يتصل بالتركيب الوارد فيه من قرائن مختلفة تعيّنه لجهة زمنية، ومع ذلك قد يرد الماضي مبهما لا يمكن أن نقف له على تحديد معين لأنه لا يستند إلى ما يمكن أن يعيّن زمنه، والحديث الشريف الموالي يجسد مفهوم الإبهام في الماضي، قوله صلى الله عليه وسلم: "**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**"[25].

الحديث ورد في تركيب متعدد، لأنه يشتمل على أكثر من جملتين[26]، تربطها وحدة معنوية تشكل النواة التي تتمحور حولها بقية الأجزاء وهي: "**دخلت امرأة النار**" وبقية الجمل تعليل للحدث المتصدر للتركيب من باب السببية[27].

والرسم البياني لعناصر الحديث تكون كالتالي:

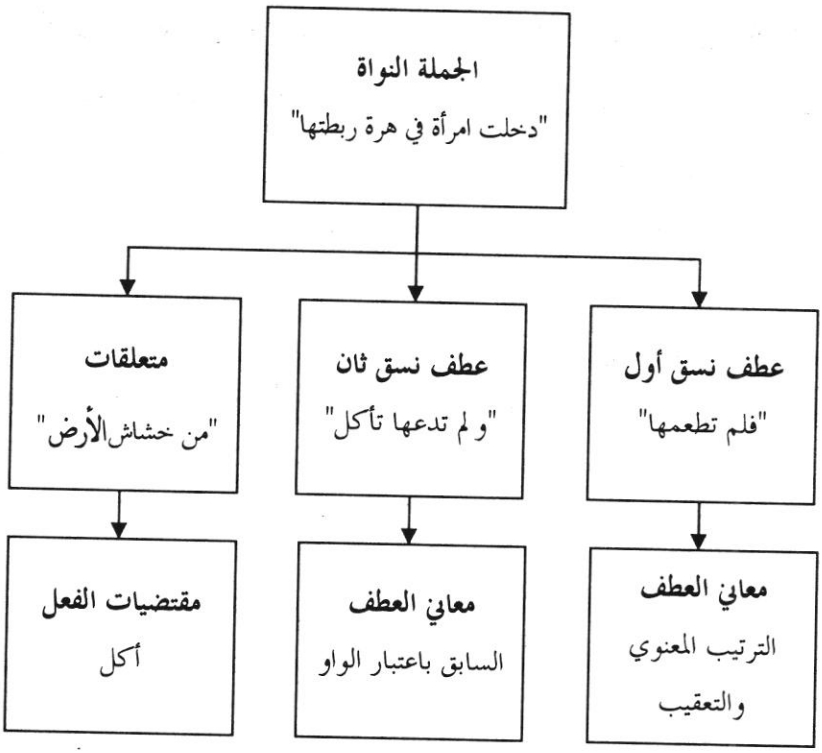

الجهة الزمنية للفعل المحوري "النواة": **دخلتْ**: ماض مجرد من القرائن، متصل بتاء التأنيث الساكنة لأن الفاعل مؤنث حقيقيا[28]، لفظا ومعنًى، وهو لازم بالوزن: **فَعَلَ**، متعدّ بالمعنى الظاهر في تضمينه[29] معنى **أَدْخِلَ**، لأن الفاعل لم يقم بالفعل طواعية، وذاك من باب التضمين النحوي، وهو تحميل معنى لفعل آخر.

ومعمول الفعل "**النار**" معرف بالألف واللام العهدية لأن مصحوبها معهود ذهنيا وذكريا[30]. ولما خلا فعل التركيب من أي قرينة تعينه لجهة زمنية معينة، فإنّ زمانه ماض مبهم وارد على سبيل الحكاية، التي لا تستند إلى عامل يساعد على تحديد زمن وقوع فعلها بالنسبة إلى زمن التكلم.

3- الفعل الماضي الدال على استمرار وقوع حدث في الماضي المنقطع

الفعل الماضي الواقع ضمن معنى الاستمرارية يعنى بداهة انقطاعة عن زمن التكلم، أي الحاضر، ذلك أن المقصود بالاستمرار ههنا هو: مضيّ الحدث أو الشيء على طريقة واحدة[31]، وذاك يفيد تكرر الحدث في حقبة زمنية مضت وانقضت فانقطعت عن زمن الحاضر، وضمن هذا المعنى يأتي الحديث الشريف التالي: "**أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَى انتهَى إِلَى سَبْعَة أحرف**"[32].

ومخطط الحديث يعطينا البيانات التالية:

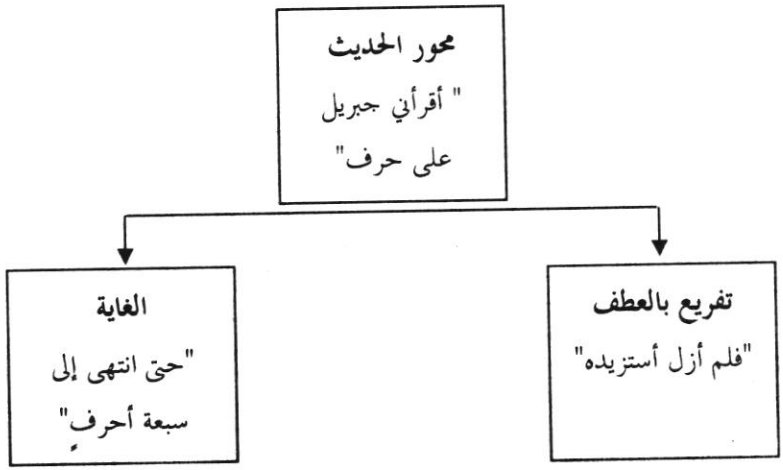

وقد تجلى من المخطط ،نوع التركيب الذي هو من الأنماط المتعددة المكونة من مركبين إسناديين أو أكثر، وكل مركب قائم بنفسه[33]. ذلك أن المحور الأساس المشار إليه كلام مستقل مفيد لمعناه[34]، واقتضى حضور ملفوظات مقسّمة، مرتبطة فيما بينها لتشكل فترات[35] معينة تتلاحق لتفي بالغاية المتوخاة من الفعل المحور.

الجهة الزمنية للفعل المحوري: لما كان الفعل المحوري :**أَقْرَأَ**" في الماضي بدون قرائن لفظية، فإن بقية الأفعال الواردة بعده بدلالة زمنية ماضية،

مع سمة **الاستمرارية** للفعل المحوري المذكور اعتمادا على زمنه النحوي المستفاد من السياق، وذاك يعني أن الحدث "**أقرأ**" تكرر مرات في زمن مضى وانقضى، ثم تلاه الفعل الناقص زال المسبوق بنفي، قُلبت دلالته الزمنية للماضي لأنه وارد بصيغة المضارع وفيه معنى **استمرار الحدث** المتمثل في الاستزادة لأن "زال" فيه معنى النفي، و"ما" للنفي ودخول النفي على النفي صار إيجابا[36]، فالأفعال الواردة ضمن هذا الحديث الشريف، كلها للماضي المنقطع عن زمن الحاضر وتعتريها سمة **التكرار والاستمرارية**، في الزمن نفسه بقرائن سياقية ومعنوية.

4- الفعل الماضي الدال على الزمن القريب من الحاضر

وقوع حدث قريب من الزمن الحاضر، يعني أنه انقضى برهة من الزمن قبل التكلم، تطول وتقصر، ولكنه يفيد اتصاله بزمن التكلم[37] بمساعدة قرائن سياقية مختلفة تمكن من تحديده إلى هذه الجهة الزمنية[38]، لأن تحديد هذه الجهة (زمن وقوع الفعل) من الوقوع على دقائق مقتضيات الكلام انطلاقا من زمن إنجازه في تحققه الفعلي[39].

وفي الحديث الشريف الموالي ما يوضح تلك الدلالة، قال صلى الله عليه وسلم: "**قد بلغني أنّكمْ قلتمْ في أسامةَ وإنّهُ أحبُّ الناسِ إليَّ**"[40]، والحديث وارد بشأن طعن بعض الناس في إمارة الصحابي المذكور، لّما ولاّه النبي صلى الله علية وسلم على جيش المسلمين. والحديث الذي بين أيدينا خطاب يرمي إلى تقرير حالة ووصفها، وإصدار حكم بشأنها، وعناصر هذا الخطاب في البيان التالي:

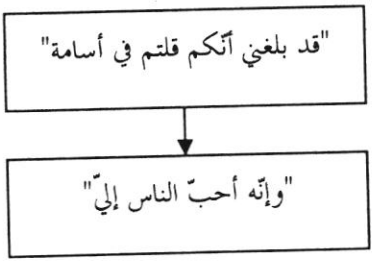

ومن الواضح أنّ هذا الخطاب النبوي الشريف قائم على تركيب فعلي محوري، اقتضى مضمونه التواصلي الإبلاغي وجود ما يكمّله ويحقّق فحواه وذلك في الجملة المستأنفة. والحديث مصنف في نطاق دلالة صيغة الماضي على الماضي القريب من الحاضر، ويشكل بذلك خطابا لوصف حالة[41] تجلت في ردّ فعل النبي صلى الله عليه وسلم على من طعن في أسامة بن زيد، فكانت نواة الخطاب[42] في فعل: "**بلغني**" وتجلّى هامشه في العناصر الإضافية التي تزوّد النواة بتحديدات[43] كالآتي:

* **العلاقات الإسنادية للتركيب:** معمول "**بلغ**" وارد ضميرا متصلا في ياء المتكلم المخاطب ــشخص الرسول صلى الله عليه وسلم في محل نصب مفعول بهــ في غير رتبته الاعتيادية، لأنّ المفعول به ضمير متصل والفاعل اسم ظاهر[44]، ثم فاعل ظاهر في جملة اسمية منسوخة "**أنّكم قلتم**" والناسخ الحرفي وارد لتوكيد الخبر ولا أثر له في المستوى الدلالي، واسمه ضمير متصل في محل نصب وهو ضمير المخاطب وخبر "**إنّ**" جملة فعلية "**قلتم**" للماضي القريب من الحاضر وفاعل فعل الخطاب "**بلغ**" معرف بضمير الخطاب المخاطب وذلك لتقوية المعنى وتوكيده لأنّ الخطاب ههنا مع حاضر معين.

* **الجهة الزمنية للفعل النواة:** وفقا لما يقتضيه كل حدث مقترن بزمن فإنّ دلالته الزمنية سياقا تتجلى في الآتي:

الفعل هو "**بلغ**" خَلُصَ للدلالة على الزمن الماضي بقرينة لفظية قد[45] لأنّ صيغة "**فَعَلَ**" كما سمّاها النحاة تدل على الماضي المطلق وما يعيّنها لتدل على زمن معين هو مختلف القرائن التي منها "**قد**" فتعيّن الفعل "**بَلَغَ**" في الحديث الشريف للدلالة على الزمن الماضي القريب من الحاضر إضافة إلى معنى التوكيد الحاصل فيه.

5- *الفعل الماضي الدال على زمن الحاضر*

قد تدل صيغة "**فَعَلَ**" الموضوعة للدلالة على الماضي على زمن الحال أ ي الوقت الحاضر[46]، ويتم ذلك بقرائن كالإنشاء الإيقاعي من أمثلة الفعل[47] مثل: "بِعْتُ- اشْتَرَيْتُ" وما يصلح أن يكون فيه أو يقال فيه: الآن، الساعة، اليوم، وغيرها من الألفاظ الدالة على الظرفية الزمانية، والحديث الشريف حافل بمثل هذه الدلالات من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئ**"[48]، وذلك استجابة لأم هانئ شقيقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لما علمت أنّ أخاها عازم على قتل أبي هبيرة – وهو زوجها- فأجره النبي صلى الله عليه وسلم تكريما لها.

وقد تشكل الحديث من وحدتين لغويتين هما حسب المخطط التالي:

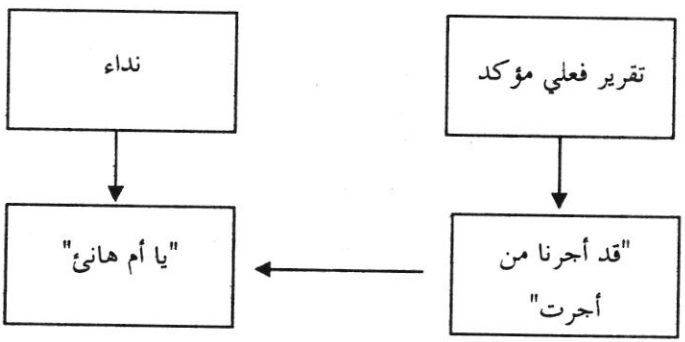

وتحليل الفعل المحوري "**أَجَرْنَا**" ومقتضياته وتحديداته يعطينا المعاني التالية:

* **حرف تحقيق وتوكيد: "قد"** لأن هذا الحرف إذا تصدّر الجملة الفعلية التي يكون فعلها ماضيا يفيد مفاد "**إنّ**"، و"**اللام**" في الجملة الاسمية أي يفيد توكيدا قويا[49] إضافة إلى معنى تحقق الحدث المتمثل في الفعل الذي سبقه.

* **جملة فعلية ماضوية مؤكدة: "أَجَرْنَا"** فعل ماضي مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، وهو من الأفعال المتعدية إلى واحد لأنّه وَرَدَ بمعنى: "**أَمَّنَ**" من إعطاء الأمن والسلامة للمتردد في دخول الإسلام[50]، ثم مسند إليه ضمير متصل في محل رفع والضمير إذا اتصل أضاف إلى الخفة والاختصار، معنى الاقتصار[51]، وهو من مطالب الاستعمال اللغوي لأنّ من آجر هو شخص الرسول صلى الله علية وسلم.

* **موصول وصلته: "مَنْ أَجَرْتَ"** وهو معمول: "**أَجَرْنَا**"، الجملة الفعلية السابقة لأن "مَنْ" من الموصولات الاسمية في سياق الحديث وأكثر ما تستعمل للعاقل[52] استوفت صلتها التي بينت معناها في الجملة "أَجَرْتَ" الفعلية.

* **أسلوب نداء: "يَا أُمَّ هَانِئ"** منادى منصوب لأنّه جاء مضافا بفعل محذوف تقدير أدعو، قامت مقامه ياء النداء التي هي أهم حروفه وتدخل في كل أشكاله[53].

* **الجهة الزمنية "زمن الفعل النواة"**: دلّ فعل صدر التركيب "**أَجَرْنَا**" على الماضي المعبّر عن زمن الحال، أي الزمن الحاضر وذلك اعتمادا على الزمن النحوي بالقرينة اللفظية "**قد**"، إضافة إلى أنّ الخطاب أو مفهوم الخطاب لا يمكن فصله عن معاني السياق[54] وما يقتضيه من قرائن وأداء لغوي، إذ جاء الفعل الماضي الدال على الحال ردّا على التماس مضمونه: "طَلَبُ أَمَانٍ" لطرف ثالث خارج عن العملية التواصلية التي جسدها

التركيب معبّرا عن موقف المتكلم من فحوى القضية بنمط جملي، وقوّته الإنجازية: إخبارٌ[55].

6- الفعل الماضي الدال على زمن المستقبل

هي دلالة أخرى من دلالات الفعل الماضي الزمنية الفرعيّة، التي يُتوصّل إليها بوسائط ووسائل ذكّرت سلفا مع بعض النماذج التي تم تحليلها لأن تحديد زمن الفعل بدقة له أثره البالغ في التعبير وعملية التواصل وفي المضامين الإبلاغية.

ودلالة الماضي على الاستقبال أمر أكّده القدماء[56]، من نحاة البصرة والكوفة، والمحدثين من خلال الاتجاهات الحديثة للتحليل الزمني للفعل الماضي[57]، والحديث الشريف مفعم بمختلف الدلالات الزمنية للفعل الماضي منها دلالته على **زمن المستقبل** من ذلك الحديث التالي:

"**زادكَ اللهُ حرصًا ولا تعدْ**"[58] "كاف" المخاطَب تعود على راوي الحديث، الذي انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، "وهو راكعٌ" فركع قبل أن يصل الصف، فنهاه عن ذلك بالحديث السالف وبيان الحديث مشجّرا يعطينا العناصر النحوية التالية:

التركيب

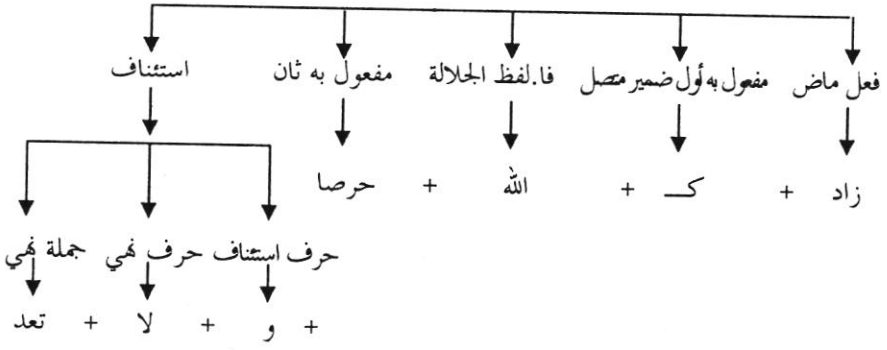

وتحليل هذه العناصر يعطينا المعاني التالية:

* **دعاء:** "زَادَ" فعل ماضي مبني على الفتح مجرد، لأنّ حروف ماضيه كلها أصلية، أجوف على وزن "فَعَلَ، يَفْعِلُ"[59] من الأفعال المتعدّية إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر. لأنه وارد بمعنى "أعطَى" أو "وَهَّبَ".

* **معمول فعل الدعاء:** "كَـ" كاف الخطاب ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به أوّل للفعل "زَادَ" باعتبار تعديته سياقا إلى مفعولين.

* **مسند إليه:** "الله" لفظ الجلالة فاعل مرفوع لفعل الدعاء "زَادَ".

* **معمول ثان لفعل الدعاء:** "حِرْصًا" مفعول به ثان منصوب.

* **جملة مستأنفة:** من حرف الاستئناف "وَ" ويؤهلها لهذا المعنى أنها واقعة بين الخبر والإنشاء[60]، ثم حرف نهي جازم للمضارع وجملة النهي مضارع مجزوم ثم الفاعل المستتر وجوبا، وبيان التركيب:

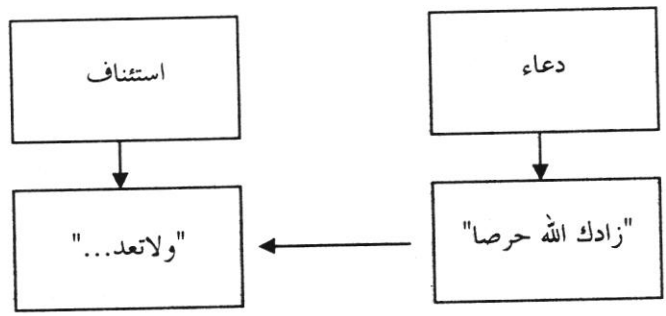

* **الجهة الزمنية للتركيب وفعله المحوري** : تعيّن فعل "زَادَ" للدلالة على زمن المستقبل لأنه كما هو واضح تضمّن معنى الدعاء، ولأنّه تعبير بالخبر في موضع الإنشاء[61]، وذلك أنّ الحدث متوقع حدوثه **بعد زمن التكلّم** قرباً وبعدًا، وهو تنبيه بشأن سلوك في العبادة،

نهى النبي صلى الله عليه وسلم راوي الحديث عن العودة إليه ففيه استحسان النية (الركوع)، ووجوب إدراك هذا الأخير، ومن هنا اكتسب الحديث طابع التشريع.

ومن الأحاديث التي تضمنت أفعالها الماضية الدلالة على زمن المستقبل، قوله صلى الله عليه وسلم: "**رحم الله رجلاً سمحًا إذَا باع وإذا اشترَى وإذا اقتضَى**"[62].

فالأفعال: "**رحِمَ**": دعاء خلص لزمن الاستقبال لأنه إنشاء طلبي، لا يمكن حدوثه إلا بعد زمن التكلم، ثم بقية أفعال الحديث الواقعة بعد **إذا الظرفية الشرطية**، إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى، بصيغة الماضي والدلالة الزمنية للاستقبال بقرينة لفظية هي: إذا كما سبق القول.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " **خربَتْ خَيبرُ إنَّا إذا نَزَلنَا بساحةِ قوم فساء صباح المنذرين**"[63].

[تعسَ عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعطى لم يرضَ] [64].

الخاتـــمة

يقول إبراهيم السامرائي في كتابه **"الفعل زمانه وأبنيته"** ما نصّه: "وأود أن أقول أن الأقدمين لم يطيلوا القول في الفعل ووجوه الرأي فيه، ولم يستقصوا دلالة الزمان فيه، وتقسيمات الفعل عندهم إلى ماض ومضارع وأمر، تُشعر بهذا النقص الذي ظهر في دراسات الأولين من النحاة، ومن أجل ذلك كان على الباحثين أن يعيدوا النظر في الفعل واستعماله وزمانه وأبنيته، ليستدركوا على النحاة شيئا فاتهم، على أنّ هذا يدعونا إلى أن نُكبر أولئك السلف الصالح الإكبار كله لما بذلوا في سبيل هذه العربية الشريفة من نصَب وكدّ"[65].

في هذا المنحى سُجِّلت عناصر هذه المقالة، القصد منها توظيف الاتجاه اللغوي ـالنحويـ فيما يتعلق بالدلالة الزمنية للفعل في العربية، وذلك لما لهذه اللغة من خصائص في الحرف واللفظة والتركيب والأسلوب، والحقيقة والمجاز، ومما يكتنف تراكيبها من قرائن لفظية مؤثرة في المضامين، وقرائن معنوية وسياقية تسدد الرؤية، وتقي الارتباك في الوقوف على الجهات الزمنية الكثيرة للفعل، وتلك مهمة بالغة الدقة في التحليل اللساني الحديث، نظرا لما يكتسبه عامل الزمن من أهمية في الحياة وعلى كافة الأصعدة، وقد مكن المنهج المتبع المشار إليه سلفا من الوقوف على بعض دلالات **صيغة الماضي** الزمنية وهي كثيرة بتوظيف كل عناصر التركيب، الواردة فيه متضافرة مع بعضها اعتمادا على السياق الذي هو اللفظ متلونا بمقتضيات التركيب، والمقام المتمثل في كل الملابسات المحيطة بالباثّ أو المرسِل، وشروط تلقي المرسَل إليه، وتمّ ذلك في رحاب بعض الأحاديث النبوية الشريفة من صحيح البخاري، الغنية بدلالاتها الزمنية وهي الصادرة عن سيد الأولين

والآخرين رباط الماضي بالحاضر والمستقبل، متمحورة حول زمن التكلم **قربا وبعدا**، وأحسب أنها تندرج ضمن الجهود الرامية إلى التعامل مع الفعل وزمانه تعاملا يفي ببعض حاجات التحليل اللساني الحديث في ضوء تراثنا اللغوي الزاخر بالعلوم التي لا ينضب لها معين.

الهوامـــش

1. ينظر: لسان العرب "ابن منظور"، دار إحياء التراث العربي، ط1– 1988م، ج6، 86. مادة: زمن.
2. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية "أبو البقاء أيوب"، منشورات وزارة الثقافة، ط1976، ص405،
3. الزمن الدلالي: "زكي حسام الدين" دار غريب، القاهرة، ط2، 2002، ص30.
4. الكتاب: "سيبويه"، ت، عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، د ت د ط، 1، 12.
5. ينظر بهذا الصدد: الكتاب "سيبويه"، 1-130 و 171- 175-176. وثعلب "أبو العباس بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي"، مجالس ثعلب شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط2، 1960، 2-395-474.
6. اللغة العربية معناها ومبناها:" تمام حسان"، عالم الكتب، القاهرة، ط3 د ت، ص248.
7. زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته اللغوية، "عبد الجبار توامة"، د م، ج، ص1.
8. اللغة العربية معانها ومبناها، 242+ 243.
9. دلالة السياق "ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ط1، ص51.
10. *100 fiches pour comprendre la linguistique* par : Gilles Siouffi – et Danvan Raemdonck- Bréal Rosny. Novembre 1999, 2ed, p :150.
11. le même p150.
12. دلالة السياق،" ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي"، ص51.
13. علوم اللغة المجلد الأول، العدد2- 1998، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص97.
14. التعبير الزمني عند النحاة العرب، "عبد الله بوخلخال"، د. م. ج. 1987، 1-28-29.
15. الكليات، "أبو البقاء أيوب"، 5- 143.

16. لسان العرب، "ابن منظور"، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988، ج10، ص292.

17. صحيح البخاري، عالم الكتب، بيروت، ط4، 1985، ج8، 165، 166، حديث:8.

18. لسان العرب، مادة عذر، 9-102.

19. شرح شافية ابن الحاجب، "الاستراباذي"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1975، 1-83 .

20. *l'analyse du discours/ Dominique Main gueneau/* Hachette. Paris 1991. p89.

21. المقتضب، المبرد- ت، "محمد عبد الخالق عضيمة"، عالم الكتب بيروت، د ت دط - 128/4.

22. من بلاغة النظم العربي، "عبد العزيز عبد المعطي عرفة"، عالم الكتب، بيروت، ط1984، 133/1، 134.

23. الجنى الداني في حروف المعاني/ المرادي، ت. فخرالدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط2، 1983، ص386.-

24. صحيح البخاري، 189/4، حديث:31.

25. صحيح البخاري، 122/262/4. حديث: 122.

26. مدخل إلى دراسة الجملة العربية، "محمود أحمد نحلة"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1988/ ص181.

27. المعجم المفصل في النحو العربي، عزيزة فوال بابتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1992، 364/1.

28. المعجم المفصل في النحو العربي، عزيزة فوال بابتي، 320/1.

29. الأشباه والنظائر في النحو، "السيوطي"، ت: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 2003، ج152/3، 153.

30. ينظر: مغني اللبيب، "ابن هشام"، دار الجيل بيروت، ت حنا الفاخوري، ط1، 1991، 205/1. ومفتاح العلوم، "السكاكي"، دار لكتب العلمية، بيروت، ط1743/1983.

31. لسان العرب، 72/13، مادة: مرر.

32. صحيح البخاري، 233/4، حديث : 29.

33. الجملة العربية: مكوناتها، أنواعها، تحليلها، محمد إبراهيم عبادة، ص137.

34. الخصائص، "ابن جني"، ت. عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د ت، دط، 31/1.

35. *linguistique textuelle : les genres de discours aux textes* : Jean Michel Adam. P47.

36. الانصاف في مسائل الخلاف، "ابن الأنباري"، دار الجبل، ط1983، ص1/ 156.

37. علوم اللغة المجلد الأول، العدد2، 1998، ص124.

38. الزمن الدلالي، "زكي حسام الدين"، ص208.

39. التفكير اللساني في الحضارة العربية، "عبد السلام المسدي"، 254.

40. صحيح البخاري، 6، 39+40،حديث: 450.

41. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط2001، ص88.

42. السابق نفسه، ص93.

43. السابق نفسه.

44. قضايا المفعول به عند النحاة العرب، "محمد أحمد خضير"، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ط2003، ص302.

45. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشروق العربي، بيروت، ط3، 177/3.

46. شرح كافية ابن الحاجب، " الاستراباذي"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، 7/4.

47. التعبير الزمني عند النحاة العرب، "عبد الله بوخلخال"، 53/1.

48. صحيح البخاري، 161/1، حديث:23.

49. التحرير والتنوير، "محمد الطاهر بن عاشور"، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 8/18.

50. مختصر تفسير القرآن العظيم، عمدة التفاسير، "ابن كثير"، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر، الوفاء للطباعة والنشر، ط3، 2005، المنصورة، 131/2.

51. البيان في روائع القرآن، "تمام حسان"، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000، 137/1.

52. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط دت. 149/1.

53. النداء في اللغة والقرآن، "أحمد محمد فارس"، دار الفكر اللبناني، ط1، 1989، ص80.

54. *la pragmatique : Histoire et critique/* François/ La traverse/ Bruxelles. P180.

55. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، "أحمد المتوكل"، ص46.

56. الانصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري، 252/1-258.

57. ينظر: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، "محمد عبد الرحمن الريحاني"، ص277، وزمن الفعل في العربية، عبد "الجبار توامة"، 78.

58. صحيح البخاري، 311/1، حديث: 171.

59. المفتاح في التصريف، "عبد القاهر الجرجاني"، الفيصلية، مكة المكرمة، 1424هـ/ ص17/1.

60. مغني اللبيب، "ابن هشام"، 576/1.

61. المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، "عبد الفتاح لاشين"، 140.

62. صحيح البخاري، 14/3، 122،ح ديث:28.

63. صحيح البخاري، 274/5، 275. حديث:219.

64. السابق، 100/4، ح:100.

65. الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1986/4، ص232.